

112196 - كيف تجتنب ظن السوء بالناس ؟

السؤال

كيف يمكن أن نتجنب الظن بالناس ، وخاصة المسلمين ، وهل يجب دائمًا أن نظن خيرا ، فأنا أستغرب من أفعال بعض المسلمين التي تنافي عقيدتنا ، فصرت أشك في أفعال الناس ؟

الإجابة المفصلة

لا ينبغي للمسلم أن يلتفت كثيرا إلى أفعال الناس ، يراقب هذا ، ويتابع ذاك ، ويقتبس عن أمر تلك ، بل الواجب عليه أن يقبل على نفسه فيصلح شأنها ، ويقوم خطأها ، ويرتقي بها إلى مراتب الآداب والأخلاق العالية ، فإذا شغل نفسه بذلك ، لم يجد وقتا ولا فكرا يشغله في الناس وظن السوء بهم .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تتبع أمور الناس وعوراتهم ، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على شغل المسلم نفسه بالخير ، وعدم الوقوع فيما لا يغنى من الله شيئا ، فقال :

(يَا مَعْشَرَ مَنْ أَمْنَى بِإِيمَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ إِيمَانَ قَلْبِهِ ! لَا تَغْتَبُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهَ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعَ اللَّهَ عَوْرَتَهُ يَفْضُحُهُ فِي بَيْتِهِ)

رواه أبو داود (4880) ، قال العراقي في "تخریج الإحياء" (2/250): إسناده جيد . وصححه الألباني في "صحيح أبي داود" . والغالب أنَّ الباعث على اغتياب المسلمين وتتبع عوراتهم تزكية النفس والعجب بها أولا ، وسوء الظن بالناس ثانيا ، إذ لو لا أنه يرى نفسه فضلا على سائر الناس ، ويعتقد فيهم الذنب والفسق والمعصية لم يقع في الغيبة ، ولم تشغله العورات والعثرات كي تملأ قلبه ووجانه ، وتغدو وسوسا يؤرقه في جميع البشر ، حتى يظنَّ السوء بزوجته وأبنائه وإخوانه .

يقول الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ إِنْ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ وَلَا تَجَسِّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ) الحجرات/12.

فإذا استجاب المسلم لظن السوء ، وبدا ذلك في سلوكه وتصرفاته وأقواله ، أو تمادي معه حتى استقر في قلبه ، ولم تكن له بينة قاطعة ودليل ظاهر على ذلك ، فقد وقع في الإثم ، واستحق العقوبة عند الله تعالى .

أما إذا جاهد تلك الظنون الفاسدة ، وحاول درءها ودفعها بصرف الفكر عنها ، فليس عليه إثم حينها .
يقول الإمام النووي رحمة الله :

" أعلم أن سوء الظن حرام مثل القول ، فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوي إنسان ، يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسبيه الظن به ، قال الله تعالى : (اجتنبوا كثيرا من الظن) ، وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث) ، والأحاديث بمعنى ما ذكرته كثيرة ، والمراد بذلك عقد القلب وحكمه على غيرك بالسوء ، فأما الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء ؛ لأنه لا اختيار له في وقوعه ، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه ، وهذا هو المراد بما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله تجاوز

لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل)

قال العلماء: المراد به الخواطر التي لا تستقر. قالوا: وسواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفراً أو غيره، فمن خطر له الكفر مجرد خطر من غير تعمد لتحصيله، ثم صرفة في الحال، فليس بكافر، ولا شيء عليه.

وبسبب العفو ما ذكرناه من تعذر اجتنابه، وإنما الممكن اجتناب الاستمرار عليه، فلهذا كان الاستمرار وعقد القلب حراماً، ومهما عرض لك هذا الخاطر بالغيبة وغيرها من المعاichi، وجب عليك دفعه بالإعراض عنه، وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره "انتهى". "الأذكار" (344-346) باختصار.

أما إذا قامت البينات القاطعة، والأدلة الظاهرة على تلبس أحد المسلمين بسوء، وكانت هناك مصلحة تقتضي التحذير منه بعد التثبت، فلا حرج حينها، ولكن الضرورة تقدر بقدرها.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

"وليس كل الظن إثماً، فالظن المبني على قرائن تكاد تكون كاليقين لا بأس به، وأما الظن الذي بمجرد الوهم فإن ذلك لا يجوز، فلو فرضنا أن رجلاً رأى مع رجل آخر امرأة، والرجل هذا ظاهر العدالة، فإنه لا يحل له أن يتهمه بأن هذه المرأة أجنبية منه؛ لأن هذا من الظن الذي يأثم به الإنسان. أما إذا كان لهذا الظن سببٌ شرعيٌ فإنه لا بأس به ولا حرج على الإنسان أن يظنه، والعلماء قالوا: يحرم ظن السوء ب المسلم ظاهر العدالة "انتهى". "فتاوی إسلامية" (4/537).

ولكننا نحذر جميع إخواننا المسلمين من تسوييل الشيطان بهذه المعصية بدعوى وجود القرائن والأدلة، وينبغي إذا دخل الشيطان إلى قلب المسلم من هذا المدخل أن يدفعه ما استطاع، وليصرف قلبه عن الاسترسال معه، كما يمكن الاستعانة بالنصائح الآتية في علاج هذا الوسواس :

1. الإقبال على عيوب النفس، والاشتغال بتنقيتها وإصلاحها، فإن من عرف عيوب نفسه تواضع له وللناس، وظن النقص بنفسه وليس بالناس.

2. استحضار الآيات والأحاديث التي سبق ذكرها، والتي تبين خطورة هذا الأمر والعقاب الشديد عليه.

3. النظر في جوانب الخير في الناس كلهم، فالغالب أن الإنسان فيه من الخير كما فيه من السوء والشر، فلا يجوز إلغاء الحسنات التي قد تكون أكثر وأعظم من السيئات التي في ذلك الشخص، وقد أمر الله تعالى بالعدل والقسط، فمن الظلم الحكم على الشخص من غير موازنة عادلة بين حسناته وسعياته.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله :

"إذا وقع في قلبك ظن السوء، فهو من وسوسات الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق، وقد قال الله تعالى: (إن جاءكم فاسق بنياً فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)، فلا يجوز تصديق إبليس، فإن كان هناك قرينة تدل على فساده، واحتمل خلافه، لم تجز إساءة الظن.

ومن عالمة إساءة الظن أن يتغير قلبك معه بما كان عليه، فتنفر منه، وتستتب له، وتفتر عن مراعاته وإكرامه والاغتنام بسيئاته، فإن الشيطان قد يقرب إلى القلب بأدئي خيالٍ مساوٍ للناس، ويلقي إليه: أن هذا من فطنته وذكائه وسرعة تنبهك، وإن المؤمن ينظر بنور الله، وإنما هو على التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته، وإن أخبرك عدل بذلك، فلا تصدقه ولا تكذبه لثلا تسيء الظن

بأحدهما ، ومهما خطر لك سوء في مسلم ، فزد في مراعاته وإكرامه ، فإن ذلك يغيب الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك مثله ، خيبة من اشتغالك بالدعاء له ، ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة لا شك فيها ، فانصحه في السر ، ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه ، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسror باطلاعك على نقصه فينظر إليك بعين التعظيم ، وتنظر إليه بالاستصغر ، ولكن اقصد تخلصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخلك نقص ، وينبغي أن يكون تركه لذلك النقص بغير وعظك أحب إليك من تركه بوعظه "انتهى .

نقلًا عن "الأذكار" للإمام النووي (ص/345) .

والله أعلم .